﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠﴾ [ق: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

مآلُ الحكم العدلِ تطبيقُه باستحقاقِ أصحابِه ما صدر بحقِّهم

بعدَ أن بيَّنتِ الآيتانِ السّابقتانِ عَدمَ جدوى التخاصُمِ بين يدَيِ اللّه، ونفَتا تبديلَ القول في حضرته، كما نفتا الظلم عنه سبحانه بأيِّ شكل من الأشكال؛ ناسب أن تتحدَّث هذه الآية عن جهنَّم ومدى اتِّساعها واستعدادها لاستيعاب أعدادٍ كبيرة ممَّن يستحقّون العذاب والعقوبة؛ لبيانِ أنَّ القول الحقَّ والحُكمَ العدل مآلُه إمّا جهنَّم، وإمّا الجنَّة؛ فهو انتقالٌ من بيانِ الحكم العدل إلى بيانِ وقوعه وتنفيذه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱمۡتَلَأۡتِ﴾: (ملأ) أصلٌ يدلُّ على تَجَمُّعِ الشَّيءِ في ظَرفٍ حتّى لا يَبقَى فيه فَراغٌ، يُقال: مَلَأْتُ الشَّيْءَ أملؤُهُ مَلْئًا، والمِلْءُ: الاسْمُ لِلْمِقْدارِ الَّذي يُملأُ، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾[1].

2) ﴿مَّزِيدٖ﴾: (زيد) أصلٌ يدلُّ على الفَضْل[2]، فالزِّيادَةُ: أن ينضمَّ إلى ما عليه الشيء في نفسه شيءٌ آخر، يقال: زِدْتُهُ، فازدادَ، ويقال: ازدَدْتُ فضلًا، أي: ازداد فضلي، والزيادة قد تكون مذمومةً كالزِّيادة على الكفاية، مثل: زيادة الأصابع، والزَّوائد في قوائم الدّابَّة، وقد تكون محمودةً، نحو قوله تعالى: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: 26]، أمّا قوله تعالى هنا: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾؛ فيجوز أن يكون استدعاءً للزِّيادة، ويجوز أن يكون تنبيهًا إلى أنَّها قدِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ملى)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (ملأ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زيد).

امتلأت، وأنَّه حصل فيها ما ذُكِر في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [السجدة: 13][1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ غَيظِ جهنَّم وسَعَتِها لأهلِ النّارِ

يخبر الله تعالى في هذه الآية بما سيقول لجهنَّم يوم القيامة من السُّؤال عن الامتلاء؛ إذ إنَّه وعَدَها بالامتلاء من الجنَّة والناس أجمعين، فهو سبحانه يأمر بمَنْ يأمرُ به إليها، ويُلقيه فيها، وهي تقول: هل من مزيد؟ أي: هل بقي شيءٌ تزيدوني[2]؟ فالآيةُ بيانٌ لسَعةِ جهنَّم، وغرض ذلك التَّهديد الشَّديد، والتَّخويف من عاقبةِ أهل النّار.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ مَوقِعِ ﴿يَوْمَ﴾ الإعرابيُّ:

الإخبارُ بما يُقال يومَ القيامةِ يُقصد به ترويعُ الكافرين وتعليمُ المؤمنين

الظرفُ ﴿يَوْمَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ إمّا أن يكونَ متعلِّقًا بمحذوف، تقديره: (اذكُر)، أو أن يكون متعلِّقًا بـ(ظَلّام)؛ لأنَّه إذا لم يظلم في هذا اليوم، فنَفْيُ الظلم عنه في غيره أولى[3]، أو أن يكون متعلِّقًا بفعل القول السّابق: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾، ومناسبة تعليقه به أنَّ هذا القول لجهنَّم مقصود به ترويع المدفوعين إلى جهنَّم ألّا يطمعوا في أنَّ كثرتَهم يضيق بها سعةُ جهنم، فيطمعَ بعضُهم أن يكون ممَّن لا يوجد له مكان فيها، وحكاه الله في القرآن عِبرةً لمن يسمعه من المشركين وتعليمًا لأهل القرآن المؤمنين[4].

غَرَضُ التَّعبيرِ بالمضارعِ:

استحضارُ الحالةِ المتَحَدَّثِ عنها كأنَّها حاضرةٌ ماثِلةٌ

جملةُ: ﴿نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ في محلِّ جرٍّ بالإضافة إلى ﴿يَوْمَ﴾، أوثر التَّعبير فيها بفعل القول مضارعًا جريًا على الأصل في

(1) الراغب، مفردات القرآن: (زاد).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 377.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 292.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 317.

التعبير عن الأحداث المستقبَلة بالفعل المضارع؛ إذا أُريد استحضارُ الحالة المُتَحَدَّث عنها، كأنَّها حاضرةٌ ماثلةٌ يعيشها المخاطَب، ويرى مَوقِعَه منها، فتُؤتي الحكايةُ أُكلَها، وتترك الصورةُ أثرَها في القلوب والعقول.

توجيهُ القراءاتِ في قوله ﴿نَقُولُ﴾:

قراءةُ الياءِ جاءت على الأصل وقراءة النون جاءت على الالتفات

فعل القول في الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ قرأه نافع وشعبة بالياء: ﴿يَقُولُ﴾، وقرأه الجمهور بالنون ﴿نَقُولُ﴾[1]، والأولى جاءت جريًا على مقتضى ظاهر ما سبق من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾، أي: (قال الله لا تختصموا لديَّ، يومَ يقول)، وقراءة الجمهور بالنون على الالتفات من الغَيبة إلى التَّكلُّم[2]؛ لما يُفيده الالتفاتُ من إيقاظِ المُتَلَقّي وتنبيهِه وتطريَتِه؛ بسبب عدم جريان الكلام على أسلوبٍ واحدٍ، ولما يفيده طريقُ التكلُّم هنا من دعوة المتلقّي إلى ضرورة التفكُّر في خطاب الله بعَظَمَتِه النّارَ، وسؤالها: (هل امتلأت؟)، وقولها: (هل من مزيد؟)، مع أنَّ الله تعالى لا يخفى عليه شيءٌ مِنْ أمر النّار، أو مِنْ أمرِ غيرِها مِنَ الخلائقِ[3].

غرضُ تقديمِ الجارِّ والمجرور:

تشويقُ السّامعين بما ينطوي عليه الكلام من التَّخويف

قُدِّم الجارُّ والمجرور المتعلِّقِ بفعل القول على مقوله في الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾؛ لبيانِ توجُّه العناية في توجيه القولِ للنّارِ، ولأنَّ الاهتمام مُنصَبٌّ على التنبيه إلى سؤالها وجوابها؛ اتِّساقًا مع قصد الآية إلى ترويع الكُفّار المنكرين للبعث، العازفين عن العمل الصالح؛ كما أنَّ في تقديم ما وُجِّه القول له

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 376.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 317.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 430.

تشويقًا للقولِ الذي سيُقال، والتشويقُ في هذا السّياق ينطوي على عنصر التَّخويف والترويع.

علّة اختيار الاسمِ (جَهَنَّمَ):

جهنَّم يصلَونَها فبئسَ المَصير

أوثر التعبير بـ(جَهَنَّمَ) دون غيره من أسماء النار، في قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾؛ لدلالته على دار العذاب مع الكراهة والعُبوسة والتجهُّم، وإظهارًا للهول بتصوير الأمر المهدَّد به، وتقريع الكفّار، وتنبيه مَنْ يسمع هذا الخبر عن هذا السؤال من الغفلة والإعراض، والتَّمادي في العناد[1]، فجهنَّم هي الاسم العَلَم للنّار التي أعدَّها الله تعالى للكافرين المعذَّبين فيها، وذِكرُ الاسمِ العَلَمِ يزيد من التخويف والتهديد الذي هو أحدُ مقاصدِ الآيةِ.

غرضُ التَّعبيرِ بأسلوب الاستفهام:

ذكرُ تقريرِ النّار بحصول الامتلاءِ وعيدٌ وتهديد

قول الله تعالى: ﴿هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾ جملةٌ في محل نصب مَقولِ القول، و(هَلْ) فيه للاستفهام القاصد إلى تقرير النار بأنَّها امتلأت، كما وعد الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾ [السجدة: 13]؛ تعريضًا بالكافرين، وتحذيرًا من التَّمادي في الغفلة والإعراض عن الإيمان بالبعث، ودعوةً إلى الاستعداد له بالعمل الصالح.

بلاغةُ استعمالِ مفردة الامتلاء:

حشرُ النّاس في مكان واسعٍ تفظيعٌ للمشهدِ وتقريعٌ لأهل النّار

عبَّر النظم عن المستفهَم عنه بفعل الامتلاء، في قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾؛ للدَّلالة على اكتظاظ النار بالمعذَّبين، وعدم وجود فراغٍ فيها، فالله تعالى سيُلقي فيها من الخلائقِ ما لا يُحيط به الوصف[2]، وهو ما يدلُّ على أنَّ المعذَّبين في النّار سيملؤونها حتى تستوعِبَهم جميعًا، وفيه زيادةٌ في الترهيب والتَّخويف، فإنَّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 431.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 431.

امتلاءَ جهنَّم مع سَعَتها دليلُ حَشرِ أهلِها فيها، فحشر النّاس في مكان واسعٍ تفظيعٌ للمشهدِ، وتقريعٌ لمن لم يُعطِه حقَّه من التأمُّل الرّادعِ عن الاستمرارِ في الغيِّ.

نوعُ الواو ودلالتُها:

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾؛ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾، فاجتمع في ذلك اليوم السؤال والجواب، وعطف جواب جهنَّم على سؤالها؛ لبيانِ تسلسُل الأحداث وترتُّبِ بعضها على بعض.

دلالةُ التَّعبير بصيغة المضارِع:

جاء فعل القول مضارِعًا في قول الله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾؛ لبيانِ أنَّ هذا القولَ متجدِّدٌ مستمرٌّ، وهو ما يورِّث مقصودَ الآيةِ من التَّخويف من النّار التي تتهدَّد أهلَها، وتنتظر المزيدَ منهم.

حقيقةُ السُّؤال والجواب:

سؤالُ الله جهنَّمَ ﴿هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾، وجوابُها ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾، من باب الحقيقة؛ إذْ ليس هناك ما يمنع وقوعَه، لا سيَّما وأنَّ السنَّة النبويَّةَ قد أيَّدت شِكايةَ النّار إلى ربِّها، وبيَّنت إذْنَ الله تعالى لها بنَفَسَيْن[1]، فالأمور الغيبيَّة مقتضى الحكمة فيها التَّسليم لظاهر النَّظم، فهو مقتضى الحكمةِ في فهْمِ كلام الله تعالى؛ إذْ تأويلُها على غير ظاهرها صَرفٌ للمعنى من غير دليل، ولا اعتبارَ لما يُقال فيها قياسًا على عالم الشَّهادةِ، وفيه معنيان، أحدهما: أنَّها تمتلئ مع اتِّساعها وتباعُد أطرافِها حتّى لا يسعَها شيء، ولا يزاد على امتلائها. والثاني: أنَّها من السَّعة بحيث يدخلها مَن يدخلها وفيها موضعٌ للمزيد[2].

العَمَلُ بظاهر النَّصِّ هو المعتبَر في الغَيبيّات

(1) الإسكندري، الانتصاف على الكشاف: 4/ 388، والطيبي، حاشية الطيبي على الكشاف: 14/ 459.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 388.

غَرَضُ الاستفهامِ وبلاغتُه:

الاشتياق إلى الكفّار وتمنّيهم من خصائص جهنَّم

جملة: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ هي كلامُ النّار الذي يحكيه القرآن، و﴿هَلۡ﴾ فيها للاستفهام القاصد إلى إظهار شدَّة اشتياق جهنَّم إلى مزيدٍ من العُصاة، على الرَّغم من امتلائِها، فهو دليلٌ على كبير غَيظها، وعظيم حنَقها على الكفّار المنكِرين، والعصاة الغافلين، والاستفهامُ "مستعملٌ للتشويق والتمنّي، وفيه دلالة على أنَّ الموجودات مشوَّقة إلى الإيفاء بما خُلِقَت له، كما قال الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦﴾ [الأعراف: 16]، وفيه دلالةٌ على إظهار الامتثال لما خلقها الله لأجله، ولأنَّها لا تتلكَّأ، ولا تتعلَّل في أدائه على أكملِ حال في بابه"[1].

وظيفةُ حرفِ ﴿مِن﴾ ودلالتُه:

حرفُ ﴿مِن﴾ في قول جهنَّم: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ حرف جرٍّ يفيد تأكيدَ رغبة جهنَّم وتقويَةَ اشتياقها إلى إلقاء مزيدٍ من العصاة فيها، ففي استعماله تأكيدُ شدَّة حرصِها على امتثال أمر الله، وعلى أن تقوم بوظيفتها على خير وجهٍ وأحسنِه.

غرضُ تنكيرِ ﴿مَّزِيدٖ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿مَّزِيدٖ﴾ في قول جهنَّم: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾؛ لما يفيده التنكيرُ من عموم طَلَب النار وشمولِه جميعَ العُصاة المُعَذَّبين، والكفّار المُنكِرين.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 318.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"